ذكرى ميلاد

أمل دنقل ما زال يقول «لا» في وجه من قالوا «نعم»

مسرحٌ من الشخصيات المفهومية

تستعيد هذه الزاوية شخصية ثقافية عربية او عالمية بمناسبة ذكرى ميلادها، في محاولة لإضاءة جوانب أخرى من شخصيتها او من عوالمها الإبداعية. يصادف اليوم، الثالث والعشرين من يونيو/ حزيران، ذكرى ميلاد الشاعر المصري امل دنقل (1940 - 1983)

شوقي بن حسن

على مسرح واحد، هو شعر أمل دنقل، يَظهر المتنبّي وأبو نواس والزير سالم والحسين وسبارتاكوس وصلاح الدين وزرقاء اليمامة وغيرهم. يظهر هؤلاء ليس بسيرهم المعروفة بشكل دقيق، ولا هُم بنزعوتها عنهم تماماً، بل ليلعبوا أدواراً معيّنة بدقة شديدة في مشهد واحد ثم يتركوا الخشبة لشخصية أخرى في «قصيدة» أخرى.

ورغم أنّنا لسنا حيال نصوص فكرية، فإن هذه الشخصيات تبدو مبنية لتكون «شخصيات مفهومية»، تساعد في تمرير الأفكار والمواقف، وهي أداةٌ صنعةٌ يعتمدها الفلاسفة عادةً كما رأى بذلك المفكّر الفرنسي جيل دولوز حين نظّر للشخصيات المفهومية، ووجد أنّ فكر أفلاطون ما كان ممكناً أن يبلغ مداه لولا البناء الدقيق لشخصية سقراط، وكذلك فعل نيتشه مع زرادشت. كما يمكن لبعض الشخصيات التي اختُلقت في سياقات غير فكرية، ضمن الرواية أو المسرح، أن تأخذ هالة مفهومية، وهو ما نقف عليه مع شخصية فاوست لـ غوته، وهاملت لـ شكسبير. وربما ذلك حال الشخصيات التي اقترحها أمل دنقل، فلعلّه لم يكن يبحث عن هذا البُعد وهو يشكّلها ضمن قصائده، لكن ها هي تبدو اليوم كشخصيات مفهومية بامتياز.

لنقرأ مثلاً ما كتب عشية هزيمة 1967 في قصيدة «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة»:

«أيّتها النبية المقدّسة...
لا تسكتي... فقد سَكتُّ سَنَةً فَسَنَة...
(...)
أيتها العَرّافة المقدّسة...
ماذا تفيد الكلمات البائسة؟
قلتُ لهم ما قلتِ عن قوافل الغبار...
فاتّهموا عينيكِ، يا زرقاءُ، بالبوار!
قلتُ لهم ما قلتِ عن مسيرة الأشجار...
فاستضحكوا من وهمكِ الثرثار!
وحين فوجئوا بحدّ السيف: قايضوا بنا...
والتمسوا النجاةَ والفرار!».

بعبارة حديثة - لا يمكن أن تسوقها اللغة الشعرية وإلّا بطُل مفعولها - تلعب زرقاء اليمامة دورها في هذه الوضعية الدرامية التي يقترحها دنقل بوصفها مثقّفاً جرى تكميمه. وسواء كان هذا المثقّف مفكّراً أو شاعراً أو روائياً، فهو يبدو وقد فقد صوته، وبالتالي مساهمته ضمن التقسيم الاجتماعي للعمل، أي دوره في إنتاج تلك الرؤية النظرية أو الفنية التي تتيح كشف عيوب كثيرة.

ومن ثمّ يبيّن صاحب «أوراق الغرفة 8» مآلات ذلك التكميم، بشكل فاجع، ملمّحاً إلى تكرار نفس اللعبة الخاسرة منذ قرون، ولنا أن نمدّد أبعاد لوحته لنجد أن تكميم زرقاء اليمامة ما زال مستمراً، حين يُمنَع المثقّفون من أداء أدوارهم، عبر طيف واسع من أشكال المنع، حتى إنّ بعضهم يفضّل ألّا يلعب دوره أصلاً، معتبراً من مصير زرقاء اليمامة بالذات، أنّا الأخطر، فهو أن يفقد المثقّف قدرته على النظر والتنظير. بعبارة أخرى، تفقد زرقاء اليمامة القدرة على لعب دورها.

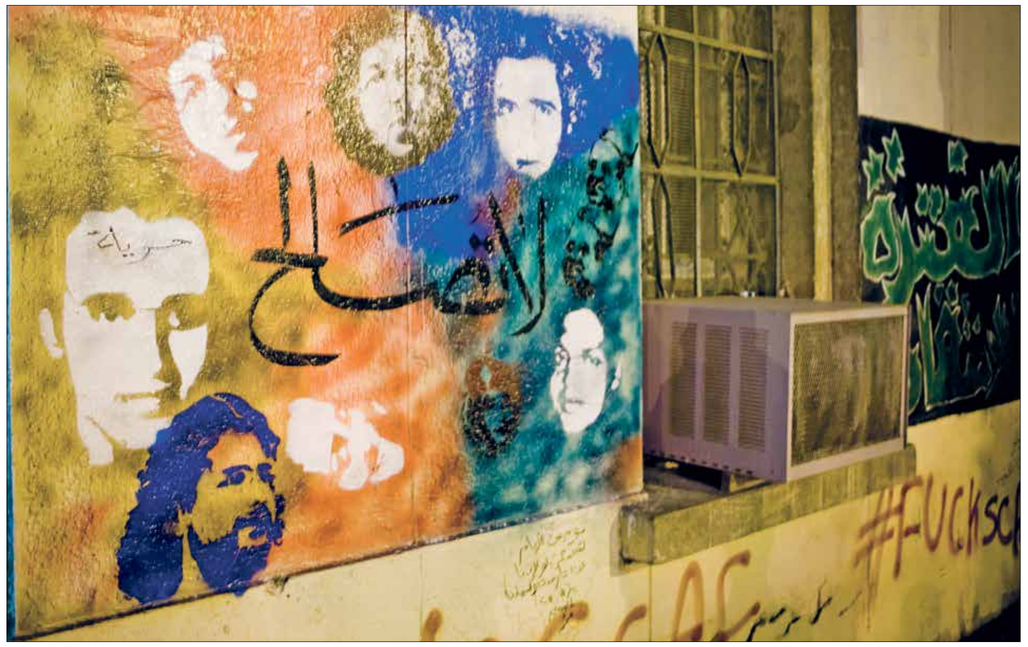

«لا تصالح» في غرافيتي بالقاهرة. تصوير حسام الحملاوي. نوفمبر/ تشرين الثاني 2011

> يبدو ديوان أمل دنقل مثل تاريخ مواز للتراث العربي
>
> يعمل بعض شعره كمضاد حيوي للمشاريع الانهزامية

مصيرٌ فاجع آخر للمثقّف تقترحه قصيدة «كلمات سبارتاكوس الأخيرة». ها نحن أمام مشهد مآلات الفعل الثوري على مستويين: مستوى الواقع ومستوى الإرادة، وقد جمعها الشاعر المصري في مقطع واحد، يقول فيه:

«معلّقٌ أنا على مشانق الصباح
وجبهتي - بالموت - محنيّة
لأنني لم أحنها... حيّة».

ذلك الاعتقاد بأنّ سبب الحياة هو عدم الانحناء هو ما يحوّل سبارتاكوس إلى شخصية مفهومية، حيث يحمل على جسده فكرته بمنطلقاتها ومخرجاتها وتداخلها، بما ينجرّ عن احتكاكها بالواقع، فهي تغيّره رغم الخسائر المرئية.

في هذه القصيدة، أتى أمل دنقل بشخصية مفهومية أخرى، الشيطان، وقرنها بسبارتاكوس، ولنتنبه إلى أنّ الأخير شخصية أنصفتها الكتابة التاريخية إلى حدّ كبير وياتت تغدق عليها بملامح البطولة والتمجيد، أمّا قرينتها داخل النص (أيضاً صفة من صفات الشيطان)، لكنّ الفكرة الجديدة تنتهي في المحطة الثالثة إلى مرحلة التعايش، وهو ما يفضي إلى تحوّلها إلى جزء لا يتجزّأ من الواقع. فهذا سبارتاكوس، الذي بات صفحة مضيئة من تاريخ روما والبشرية قاطبة، قد كان «شيطان» زمنه، فكأنّ دنقل يؤكّد على معاصريه بألّا يغترّوا بمن يُشيطن، فلعلّ في ما يطرحه إشارات نحو التحرّر والتنوير. يقول أمل دنقل:

«المجد للشيطان... معبود الرياح
مَن قال «لا» في وجه من قالوا «نعمْ»
من علّم الإنسان تمزيق العدمْ
وقال «لا»... فلم يمتْ
وظلّ روحاً أبديّة الألمْ».

كان أمل دنقل - وهنا يتجلّى وجْه أساسي من جراة نصّه - لا يهتمّ بالمتّفق عليه اجتماعياً ودينياً. يقلب هنا صورة الشيطان فيمجّده، من دون أن نعثر على تجديف ما إن نحتكم إلى النص، وليس إلى القراءة الخارجية المسقطة. ومن هنا يشير دنقل إلى واحدة من أدوات الفن الشعري، وهي الترابط المنطقي للقطعة الواحدة. وسنجد نفس لعبة القلب بين الصورة المتّفق عليها والصورة التي يؤسّسها الشعر في قصيدة «مقابلة خاصة مع ابن نوح»:

«جاءَ طوفانُ نوح
هاهمُ «الحكماءُ» يفزعون نحو السَّفينة
المغنّون، سائس خيل الأمير، المرابون،
قاضي القضاة ومملوكةٌ
حاملُ السيفِ، راقصةُ المعبد
(ابتهجتِ عندما انتشلتْ شعرها المُستعارْ
جبابةُ الضرائب، مستوردو شُحنات السّلاح،
عشيقةُ الأميرةِ في سفْنِه الأنثوي الضّبوحْ)
جاءَ طوفانُ نوحْ.
ها همُ الجُبناءُ يفزعون نحو السَّفينة.
بينما كُنتُ...
كانَ شبابُ المدينة
يلجمونَ جوادَ المياه الجَموح
يتقلونَ المياهَ على المقلى».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تكرار مأساة زرقاء اليمامة

في قصيدة «لا تُصالح» يتحيّل امل دنقل وصيّة كُليب الى اخيه المهلهل فيعيد بناءها ويخترع سياقا واضحة معنوية وكلمات لها اثر في النفوس اعمق من معظم ما كُتب ضمن ادب المقاومة عربيا. قليلة جدا هي القصائد التي ما زالت، على مدى عقود، تلعب الدور الذي تلعبه «لا تصالح»، وها نحن حين نتلوها اليوم كانها تتحدّث عن ايامنا. تلك القيمة المضافة للشاعر والتي لا ينبغي للمجتمعات ان تهدرها وتعيد مأساة زرقاء اليمامة كلّ جيل.

وقفة مع

سامي بن عامر

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه. هنا وقفةٌ مع الفنان التونسي

تونس ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

مشروعان هامّان شغلاني مؤخراً. الأوّل «معجم مصطلحات الفنون البصرية»، وهو مؤلّف من الحجم الكبير (760 صفحة) شرعت في إنجازه منذ فترة طويلة، ويمكن القول بأنّه يختزل تجاربي البحثية منذ عقود ثلاثة. وقد صدر منذ أيام قليلة. أمّا المشروع الثاني، فهو المؤلّف الجماعي الفني: «الفنون الجميلة بتونس، مسيرة أجيال ورهانات إسطيتيقية وثقافية»، الذي أتولّى إدارته ويتضمّن أربعة مجلدات وفهرساً وهو في علاقة بالندوة التي نظّمتها «جامعة تونس» في تشرين الأول/ أكتوبر 2019 تحت نفس العنوان. تعطّل مشروع هذا المؤلّف السنة الماضية بسبب المعوّقات التي فرضتها جائحة كوفيد 19، إلّا أننا نعود إليه من جديد الآن بكلّ حماسة مع «دار نيرفانا» المختصّة في مثل هذه الكتب الفنية. أطمئنّ كلّ الباحثين المشاركين في هذا المؤلّف الجماعي وأعلمهم بأن أشغاله تتقدّم رغم الصعوبات التي تعرض إليها.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك المقبل؟

آخر إنجاز مهمّ لي في المجال الفني هو المعرض الافتراضي الذي أنجزته خلال الحجر الصحي في مايو/ أيار 2020 بعنوان «لمسة مميتة» والذي قدّمت فيه مجموعة من الأعمال الفنية الرقمية التي تتناول موضوع كوفيد 19. ويمكن الاطّلاع عليه على قناتي الشخصية في «يوتيوب» (Sami Ben Ameur). وآخر ما صدر لي في مجال النقد الفني مقالٌ مطوّل حول هذه التجربة في المجلة الباريسية المختصة Ligeia، في عددها الصادر في شهر أيلول/ سبتمبر 2020. كما أنّي أواصل الرسم متى أشعر بالحاجة إلى ذلك. لكنّ الجديد هو أنّ التأليف أصبح في صدارة أولوياتي في هذه الفترة، وسيكون كذلك في الفترة المقبلة. حان الوقت لإتمام مشاريع شرعتُ في إنجازها سابقاً ولم أتمكّن بعد من إنهائها. لي أيضاً بعض المشاريع في الخارج سأشرع فيها في وقت لاحق.

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك؟

الفنان لا يرضى عمّا ينتجه، ذلك أنّه دائم التطلّع إلى المجهول والمغاير. لذلك، فإن تجارب الفنان هي بمثابة المغامرة التي لا نعرف إلى أين تُفضي. والشيء نفسه ينطبق على الباحث. أستمدّ الرضا اليوم من إنجاز معجم عربي حول الفنون البصرية، وأعتبره مساهمة منّي في إثراء البحوث الأكاديمية بالساحة الفنية البصرية في العالم العربي، وأكيد أنّه سيساعد الطلبة الباحثين في مجال الفنون في إعداد رسائلهم.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، أي مسار تختار لك؟

عندما تحصّلت على شهادة البكالوريا كانت اختياراتي الثلاثة التي تخصّ توجّهي الجامعي فنيةً: مسرح وفنون تشكيلية وسينما. ولقد كانت لي تجارب متفرّقة في هذه الاختصاصات الثلاثة، وخصوصاً في مجال المسرح في شبابي. وقد استقرّ اختياري في الأخير كما هو معلوم على الفنون التشكيلية. ولو قُيّض لي البدء من جديد لأعدت اختيار المسار نفسه. أنا سعيد بكوني فناناً تشكيلياً وسعيد بكوني خضت تجربة في مجال البحث والتدريس في الجامعة التونسية. وبالمناسبة، أحيّي جميع طلابي من دون أيّ استثناء.

> أصبح التأليف أوّل اهتماماتي، وأرسم متى أشعر بالحاجة لذلك

بطاقة

فنان تشكيلي وباحث تونسي من مواليد 1954 بصفاقس. صدر له: «الفنون الجميلة: الاصطلاح وموقعه من الفكر الحديث» (2001)، و«معجم مصطلحات الفنون البصرية» (2021). ويشرف حالياً على الكتاب الجماعي: «الفنون الجميلة بتونس». من معارضه الفردية: «شرائح من الضوء»، نشوة من الألوان» (1991)، و«جلال الأرض» (2009)، و«الأرض البكر» (2015)، و«طبيعة حميمة» (2016)، و«لمسة مميتة» (معرض افتراضي، 2020).

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده للعالم؟

يعيش العالم أزمة حادّة منذ عقود. أسبابها عولمةٌ بُنيت على مصالح شركات أصبحت تتحكّم في الاقتصاد العالمي. وهو ما أثّر في الإعلام وفي تدهور القيم، وخلق هذه التفرقة الكبيرة بين شرائح المجتمع كما نراها اليوم. ما نتمنّاه هو أن يعود السلام لهذا العالم وأن ينتصر صوت العدل بين الشعوب والجماعات والأفراد. وأن ينتصر الحبّ بدلاً عن البغضاء. العلاقات بين الأفراد تدحرجت نحو الأسفل. والأنانية والبغضاء أصبحتا سيّدتي الموقف. ولقد كانت العشرية المنقضية مثالاً في هذا التدنّي السلوكي.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سامي بن عامر (أيمن عرفة)

قصائد

يدُكِ الضئيلةُ حديثٌ طويل

أحبُّ هذه المرآة المتكسّرة

احمد الأمين

يدٌ غيرُ كافية

في المدرسة
عايرني الصغارُ بأصابعي القصيرة
قالوا إنّ يديّ صغيرتان
لا تكفيان لحمل كُرةٍ أو شدّ حبل،
صغيرتان على اللّعب
لاحقاً
عندما كبرتُ
عرفتُ أنّ يديّ لا تكفيان،
لأصطحبَ يديكِ في نزهة أو
لأسرّحَ شعرَكِ حينَ يأخذُكِ التّعب.
...
يداي صغيرتان جداً
على النّجاة
الإمساكِ بحبال الهواء
والتّلويحِ بسلامٍ أخير.

حارسُ البراويز

(إلى أبي)

أريدُ ساعةً إضافيّةً
أهرّبُ فيها الأشياءَ من البراويز
ضحكةَ أمّي في الصّورة
فستانَها الأحمر
شرودَ أبي الدّائم
خوفَهُ الظّاهرَ رغمَ الابتسامة
خوفَ الآباءِ ندبةً لا تُمحى.
...
أذكرُ أنّه في زمنٍ ما
كُنّا عائلة
وكانَ ثمّة فرحٌ رفيع
يجمعُ عيونَنا،
وأذكرُ أنّني قفزتُ في زمنٍ آخر
هكذا
كمن يقفزُ من برجِ عالٍ
واثقاً أنّه لن يرتطم.
...
حفرةٌ منَ الوحدةِ والكلامِ القليل
هذا أنا يا أبي
وجهٌ شاحبٌ ينظرُ إلى صورة
أنا
حارسُ البراويزِ الذي لا يتعب
انتظرُ رجوعَ لحظاتٍ زائلة.

فتاة القارّة البعيدة

(إلى «ميم»)

غداً
ينتهي بكِ الأمرُ
في قارّةٍ بعيدة
محيطان
وملايينُ الحيواتِ بيننا
غداً عندما تستلقينَ
تحتَ السّماءِ في الجهةِ المقابلة
سينقبضُ قلبي
وأفرُكُ رأسي محاولاً التذكّر،
شكلَ شعركِ إذ يبلّلهُ الماء
وشكلَ عينيكِ بعدَ قبلةٍ طويلة،
ساقضي بقيّةَ يومي
قابضاً على راحتكِ
بكلّ ما املكُ من حُبّ.
كلّ ذلكَ غداً
عندما تختفينَ في القارّةِ البعيدة.

مرآة متكسّرة

أحبُّ المرايا القديمة.
في بيتِ جدّي
أقفُ أمامَ المرآةِ فوقَ المغسلة
أفكّرُ أنّ صورتي تبدو أجملَ فوق الخدوش
لا أدري السببَ لكنّني
أتذكّرُ كلامَ صديقةٍ قبلَ سنين:
إنّنا نكرهُ ذواتِنا ونحبُّها حسب المرايا التي
نكبرُ معها.
...
أتذكّرُ كلامَها جيّداً:
كلُّ مراياكِ كانتْ مُحطمة.
الأولادُ في المدرسة، المعلمونَ والعائلة
جميعُهم قذفوها بحجارتهم وهربوا.
طفولةٌ مهشّمة.
أعيدُ جمعَ أجزائها المتناثرة
أفكّرُ أنّني أحبُّ انعكاسي الآن
أحبُّ هذه المرآةَ المتكسّرة
يُسمّونها الطّفولة.

(شاعر من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عمل لـ إبراهيم جوابرة

فعاليات

ضمن فعالياته على مواقع التواصل الاجتماعي، ينظّم المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» اليوم سيمنار **المرأة والتديّن: كيف تشكّل التجارب الحيّة ممارساتهنّ وفهمهنّ للتديّن** بدءاً من الثانية عشرة والنصف ظهراً بتوقيت الدوحة. تتحدّث خلال الفعالية الباحثة في العلوم السياسية، **امل حمادة**.

يوم الشعر عنوان تظاهرة تُقام اليوم ضمن فعاليات **المعرض الوطني للكتاب التونسي** المستمرّ حتى 27 من الشهر الجاري في **مدينة الثقافة** بتونس العاصمة. تتضمّن التظاهرة قراءات شعرية وحلقة نقاش حول «الشعر والهوية»، ومن المشاركين فيها: **سنية مدوري**، و**امامة الزاير**، و**الشاذلي قرواشي**، و**سلوى الرابحي**. كما يجري تكريم كلّ من **محمد الهادي الجزيري**، و**سامية ساسي**.

تنظّم جمعية **المواعيد الفلسفية** (فرنسا) مساء غد الخميس محاضرة بعنوان **من هيغل إلى نابليون وبالعكس** يقدّمها الباحث **تيبو غريس**. وتمثّل المحاضرة الحلقة الثانية من سلسلة «نابليون والفلاسفة». بحسب تقديم الامسية، ينطلق الباحث من تحليل نص لهيغل يمثّل شهادة عن مرور الإمبراطور الفرنسي ببلاده.

بعد غد الجمعة، تقدّم **المولوية المصرية** بقيادة مؤسّسها **عامر التوني** حفلاً موسيقياً على خشبة مسرح **اقية عبد المنعم الصاوي** في القاهرة، بدايةً من السابعة مساءً. تؤدّي الفرقة فنوناً متنوّعة من الإنشاد الصوفي الذي ظهر في مراحل متعدّدة من تاريخ مصر، إذ تقدّمه ضمن تصوّرات موسيقية معاصرة.